التراث العربي وانساقه العلمية الاجتماعية

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الحميد العاني *

التراث : معناه ومظاهره

لا نجد للتراث مادة معينة في معاجم اللغة كبيرها وصغيرها من المواد المبدوءة بالتاء والمختومة بالثاء الا ثلاث مواد :

١- مادة تفث[١].

٢- مادة تلث[٢].

٣- مادة توث[٣].

إذن من أين جاءت كلمة (التراث)؟ أنها مأخوذة من مادة (ورث) التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي او معنوي بمن سبقه من والد أو قريب او موص او نحو ذلك وفي الكتاب العزيز ﴿وورث سليمان داود﴾ (سورة النمل - آية ١٦).

ولعل من اقدم النصوص التي وردت فيها هذه الكلمة ما جاء في القرآن الكريم من سورة الفجر (آية ١٩) ﴿وتأكلون التراث أكلا لما﴾. وأبدلت الراء تاء من (ورث) ثم اخذ مصدرها وظلت كلمة (التراث) محدودة الاستعمال تنوب عنها أختها (الميراث) وفي كثير من الأمر الى ان أطل علينا هذا العصر الحديث فوجدنا

---

* استاذ علم الاجتماع في قسم الاجتماع / كلية الآداب - جامعة بغداد.

(١) التفث : مايفعله المحرم اذا احل : كقص الشعر وتقليم الاظفار .

(٢) تلث : ضرب من نجيل السباخ .

(٣) التوث : وهي لغة ضعيفة في التوث كما ذكر بعض اللغويين.

كان العرب في جاهليتهم يمنعون توريث النساء وصغار الاولاد فيأكلون نصيبهم.

هذه الكلمة تشيع بشيوع البحث عن الماضي : ماضي التأريخ وماضي الحضارة، والفن والأدب، والعلم، والقصص، وكل ما يمت الى القديم[٤].

والذي يعنينا في هذا الذي قصدنا له هو التراث الفكري المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التأريخ كاملة او مبتورة، فوصلت الينا بأشخاصها. والتراث العربي يتناول كل ما كتب باللغة العربية وانتزع من روحها وتيارها[٥] وهو ناتج العملية الاجتماعية للامة العربية. وهو ليس مظاهر شاخصة في الحياة اليومية، إنما هو ابرز أدوات الوعي القومي، لأنه المعبر عن انتماء الأمة الحضاري في التاريخ، وشاهد على حيويتها وسمتها كأمة تسهم في صنع التأريخ وترسيخ العقيدة. وهو محصلة المسيرة الحضارية للامة وقدرتها على الإبداع[٦] وهو بمعناه الواسع، ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها. او بمعنى آخر : هو كل ما ورثته الأمة وتركته من إنتاج فكري وحضاري سواء فيما يتعلق بالإنتاج العلمي أم بالآداب، أم بالصور الحضارية التي ترسم واقع الأمة ومستقبلها. ويشتمل على المخلفات الأثرية او فيما سجل في وثائق الكتابة.

والتراث حصيلة أساسية للأسس الآتية :

١- وطن يمتلك مقومات النشاط الحضاري.

٢- أمة تمتلك قدرة على تثوير مقومات النشاط الإنساني وسوقها باتجاه الإبداع الحضاري.

٣- مستوى ذهني وأخلاقي ونفسي على مستوى الفرد يهيئ للإبداع.

واذا ما أردنا فهم التراث واستيعابه فلابد لنا من فهم التاريخ فهو السياق الزمني الذي أبدعت فيه الأمة تراثها، والتأريخ بحكم طبيعته التسجيلية للعملية الاجتماعية قادر على ان يعطي الوضوح اللازم للتراث. والعملية الاجتماعية التي

---

(٤) د. عبد السلام هارون : التراث العربي، السلسلة الثقافية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بلا تأريخ، ص ٥ -٨ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٨-٩.

(٦) د. حسين محمد سليمان، التراث العربي، دراسة تأريخية مقارنة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بلا تأريخ، ص ١٣.

بدأت منذ عصور سحيقة، تتصل بنشأة الأمة فهي اذن حركتها التأريخية بكل زمنها وصيغ تجددها. اذن تراثنا بدأ من هناك من تلك العصور السحيقة التي شهدت نشأة الأمة.... من كهوف العراق واليمن ومصر وبلاد الشام، ومن سكان القرى والمدن التي شكلت خبراتهم وتجربتهم أساس الحياة البشرية وتحقق بعقولهم الإبداع(٧). لقد أرسلت الأمة العربية عبر تجربتها التأريخية والحضارية أسس العلوم والفنون والآداب، وشيدت الدول، وشرعت القوانين، وازدهرت حياتها الاجتماعية والثقافية في مئات المدن الحضارية. وبسبب الحركة التأريخية، والإبداع الحضاري، فقد ورث الوطن العربي تراثا غنيا من الأدب والفكر والعلوم ومؤلفات لا حصر لها. تتوزع في مختلف المكتبات العالمية تروي قصة أمة، وكيف استوعبت دورها وصور تعبيرها عن ذلك الدور(٨).

والأمة العربية في كل دور من أدوارها تستوعب الإنجاز الحضاري للدور السابق. بعد ما تكون استوعبت عصرها. وتمارس من خلال استخلاصها لقوانين واتجاهات حركة التأريخ في الماضي وفي عصرها، الموازنة بين ضرورات العصر، بين اثر الأصالة وحاجة الأمة الى التكون.

لقد أرست الأمة من خلال إبداعها أسس العلوم والفنون والآداب التي أصبحت أسس للتطور البشري، فمئات المدن وما فيها من فن الهندسة والعمارة والذوق، والآلات الإنتاجية، والإبداع الفكري، ووسائل نظم الحياة والمجتمع والتشريع تعكس ذلك الدور، إضافة الى آلاف اللقى الحضارية التي تزين متاحف العالم.

ولما جاء الإسلام التقى النضج في التوحيد بالنضج الاجتماعي والثقافي للأمة فتمازجا، ولقوة التقائهما اصبحا شيئا واحدا. فأصبح التوحيد في الدين، توحيدا اجتماعيا وأصبحت العروبة شرطا للتوحيد فازدهرت الأمة وأعطت على مدى

---

(٧) سلسلة شؤون عربية، رقم ١، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦، ص ٣١ -٣٢.

(٨) المصدر المار ذكره، ص ٣٣ - ٣٤.

سبعة قرون عطاءا حضاريا عظيما[٩]. والتراث حصيلة ضخمة من التجارب والممارسات بأشكالها المختلفة ومناحيها المتعددة التي تهتم بالحياة الفكرية الدينية والدنيوية. فهو عميق الجذور في الأمم، لذلك فأنه يمثل فكرها وعقلها وشخصيتها، بل هو الذي يميز أمة عن غيرها من الأمم، أي انه ذات الأمة، ولعل اكثر شيء إدراكا في أهمية التراث ووجوب الاهتمام به كونه يربط شخصية الأمة بماضيها ويجعلها بارزة بين الأمم أولا.

كما انه يكتشف أشياء جديدة تستثير بها الأفكار المعاصرة، بل كثير ما تفتتح الأذهان منها وتؤدي الى ابتكار أشياء جديدة مستندة الى أصول قديمة، فيكون لها التفريعات ما يتناسب مع واقع الأمة وواقع البيئة الجديدة التي يعيشها الإنسان[١٠].

ان الإيمان بالتراث والعمل على إحيائه وتحليله ودراسته بروح عملية متزنة هو مظهر من مظاهر الإيمان بالأمة ذاتها، فهو في حقيقته يمثل إرادة الأمة وعزمها ويقينها بقوة وجودها. وهو عامل ثقة ووحدة. وعامل ثورة وبناء اذا ما احسن استعماله ودراسته في هدي النظرة الصائبة والنهج الموضوعي الملتزم. وهذا ما تعمل عليه حكومة الثورة في العراق في توجيه الطاقات المبدعة ورعايتها للقيام بأحياء التراث العربي الإسلامي[١١].

لأن التراث الفكري للامة هو المهد الأول لتفكير الإنسان ولنفسه، وأي انفكاك بين المرء ووطنه او بين المرء وتراثه، يخلق منه امرأ تتجاذبه أطراف الضياع وفقدان النفس. وضياع النفس مدعاة الى التفكك والتخلخل، والشعور بالبؤس والمذلة اللتين لا تطيب معها الحياة[١٢].

---

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٤-٣٧ .

(١٠) د. حسين محمد سليمان : المصدر المار ذكره ، ص ٥٨-٥٩ .

(١١) د. حاتم صالح الضامن : اسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بلاتأريخ، ص ١.

(١٢) د. عبد السلام هارون : المصدر المار ذكره، ص ١٩ .

وان تاريخ امتنا العريق ملئ بالمفاخر والأمجاد وان تراثنا هو الآخر ملئ بالعلوم والثقافات والمعارف المختلفة الأنماط والاتجاهات ولاسيما علم اللغة الذي يبلغ المرتبة الأولى في هذا المضمار، ويشهد بذلك الأوربيون قبل غيرهم من أمم الدنيا، وكذلك الآداب، والفنون، والفلسفة والطب والرياضيات والفلك والاجتماع وغيرها من العلوم التي لا حصر لها، والتي كان لها الفضل الكبير في ايقاض العالم من سباته والى ان يصل الى ما وصل اليه اليوم.

وكوني متخصص في علم الاجتماع فأني سأهتم بالاتجاه الاجتماعي ابتداء من الجاحظ والفارابي والغزالي وابن خلدون وانتهاء بابن الأزرق الذي يمثل مرحلة النضج الاجتماعي في الدراسات الاجتماعية العربية.

التراث وعلاقته بالانساق العلمية

العلم فرع من المعرفة النظرية التي تهدف الى إشباع الرغبة الفكرية[١٣]. وان من اكبر الفروقات بين الفكر الحديث والفكر القديم هو الإقرار بوجود نظم مستقلة للفكر وحقول مستقلة من المعرفة. وان من الأخطاء في فرع واحد لا يمكن ان تكون بالضرورة مصحوبة بأخطاء في فرع آخر. وان الفروع التي تفرعت عنها المعرفة تغيرت بصورة واسعة بمقتضى تفرعها منذ ذلك الحين. وقد فاق التغيير الذي طرأ على العلم كل فروع المعرفة الأخرى. وان التطور الذي طرأ على العلم في القرن الماضي يرتبط ارتباطا وثيقا بافتراقه عن الفلسفة. وان التغيرات كبيرة الى درجة يصعب اعتبار علم اليوم هو الشيء نفسه كالعلم الذي لم يميز عن الدراسات الأخرى في الفكر الإغريقي وفي فكر القرون الوسطى[١٤]. وان الفلسفة والعلم كان لهما معنى واحد وكانا يستعملان بالتناوب على الرغم من ان الأول كان اكثر شيوعا. وان كلمة (علم) ما هي الا الكلمة المرادفة لـ(معرفة) والتنويه بأن كل ما هو ليس علما معرفة قد داعب غرور بعض المحدثين. ومن

---

(١٣) نورمان كابيل : ما العلم ؟ ترجمة طارق عبد الهادي محمد العاني، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٢ ، ص ٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٩.

الراجح ان الاستعمال الأقدم والأكثر عموما للكلمة بمعنى المعرفة الصرفة بشكل عام، او في الحقيقة أي نوع من المعرفة. بينما يذهب البعض الى ان العلم ذلك النوع من المعرفة الصرفة المتعلقة بخواص العالم الخارجي للطبيعة.

والملاحظ ان هذا المذهب يعتبر من احدث فروع المعرفة النظرية وليس أقدمها. ومن ناحية ثانية هنالك دون شك دراسات تعتبر عادة علوما تعنى بالإنسان بصورة خاصة وليس بالعالم الخارجي المتناقض معه. وأمثلة ذلك علم النفس، والانثروبولوجي، فكيف تتفق مثل هذه الدراسات مع الرأي القائل بأن العلم أساسا غير إنساني ؟.

وأخيرا بات معروفا اليوم بشكل عام ان العلم يختلف عن الفروع الأخرى ليس في موضوع البحث الذي يدرسه وحسب. وربما بالطريقة التي يعامل بها مادة الموضوع هذه[١٥].

وهذا بطبيعة الحال أدى الى اختلاف انساق المعرفة العلمية وأدى الى تنوعها. والنسق مجموعة من النظم تخص جانبا معينا من فعاليات المجتمع وبنائه الاجتماعي مثل النسق الاقتصادي الذي يضم نظم تقسيم العمل والملكية والإنتاج والاستهلاك، وما يشابهها من نظم.

فالنسق مجموعة من الفعاليات المتصل بعضها ببعض. والتي تعمل أجزاؤها بتواؤم واتساق وتكامل[١٦]. أما النسق الاجتماعي فهو مجموعة العادات والعلائق والتفاعلات الاجتماعية الاعتيادية بين أفراد المجتمع الذين يرتبطون بصلات متبادلة ضمن إطار حضاري معين ويتكون النسق من مجموعة من النظم الاجتماعية المترابطة والمتكاملة والمتسقة[١٧].والنظام مجموعة من الفعاليات والتطبيقات الاجتماعية الهامة تتعلق بظاهرة اجتماعية أساسية كالزواج والتعليم والملكية وتمتاز بالتكامل والثبات والشمول، وبطراز سلوكي مميز، وتهدف الى

---

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٠.

(١٦) الدكتور شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، الطبعة الاولى،١٩٨١، ص ٩٤٢.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٩٠٣ .

الضبط الاجتماعي وإشباع الرغبات، وسد الاحتياجات الاجتماعية الأساسية، والنظام حالة مقررة من السلوك، ووسيلة تستطيع بوساطتها العلائق الاجتماعية ان تحافظ على وجودها واستمرارها ولذا فهو من الأسس التي يقوم عليها البناء الاجتماعي[١٨]. والبناء الاجتماعي مجموعة من العلائق الاجتماعية التي تربط كل أفراد المجتمع في فترة (زمنية معينة) ويحدد (البناء الاجتماعي) الأشكال التي يتجمع وفقا لها أفراد المجتمع لتحقيق أغراض اجتماعية من جهة، كما يحدد الروابط الاجتماعية، التي تتمثل في سلوك الأفراد بعضهم حيال بعض وحيال جماعاتهم الاجتماعية من جهة ثانية، ولذا فهو نوع من الترتيب المنظم للأجزاء والمكونات وتحديد واضح لسلوك الأفراد، وفق نظم اجتماعية، ضمن شبكة من العلائق الاجتماعية[١٩].والنظم هي الأخرى متنوعة ومختلفة فمنها النظم السياسية والاقتصادية والدينية.الخ.وهذا بطبيعة الحال أدى الى تنوع الموضوعات الصرفية الطبيعية والإنسانية والى تتعدد فروعها. وبتقادم عمر الإنسانية على الكرة الأرضية تعددت فروع المعرفة وصار من العسير حصرها او الإلمام بها وعندها ظهر التخصص في العلوم بل في فرع من فروعها حيث يتناول الدارس او الباحث جزءا يسيرا من معرفة ذلك العلم. وتراثنا العربي زاخر بالعلوم الطبيعية والإنسانية وكان لعلماء أمتنا الريادة فيما توصلوا اليه من معارف وعلوم[٢٠]، لقد اظهر علمائنا العرب عناية بالفكر واهتماما بالعقل والأدب واليهم يرجع الفضل في اختراع

---

(١٨) المصدر نفسه، ص ٤٩٥.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٩٠٢ - ٩٠٣ .

(٢٠) انظر : أ. الدكتور ناجي معروف ، مدخل الى تاريخ الحضارة العربية، بغداد، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٦١.

ب. لجنة بوزارة التربية ، تأريخ الحضارة العربية الاسلامية، الطبعة الاولى، بغداد، مطبعة وزارة التربية، ١٩٧٩ .

ج. الدكتور بدري محمد فهد ، تأريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨.

د. ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الاندلس ترجمة ذوفان قرقوط ، بيروت، لبنان، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع.

الكتابة، وفي إيداع الحروف الهجائية. وكان ابرز ما يتميزون به هو لغتهم العربية التي تتميز بالمرونة والاشتقاق وبالسعة والشمول، فكانت خير أداة للتعبير واسلم وعاء للتفكير وأبقى مستودع للعلم والمعرفة. وكانت هذه اللغة هي الرابط الأقوى الذي يجمعهم، والسمة البارزة التي تميزهم، والمعبر الأدق لسعة وعمق ثقافتهم والمظهر الأبرز لإنسانيتهم. وهذا هو الذي جعل الله تبارك وتعالى يختارها لغة القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه الى يوم الدين. ويبقى للعرب الخلود مادامت لغتهم التي تجمعهم وتميزهم خالدة يرعاها الله الكريم ويحفظها[٢١] ان نشاط العرب وحماسهم في التغلب على الطبيعة وسع آفاق معرفتهم فتشبعوا بالنظرة العالمية فأكسبهم ذلك نظرة واقعية وتفهما وإدراكا لأهمية العقل والتفكير المستقيم في الحياة. وقد تجلت هذه الواقعية العقلية في سعة الملاحظة وصدق التعبير وبساطته ووضوحه. قادتهم واقعيتهم الى إنسانية اجتماعية تقدر العقل وتتذوق الجمال وتعنى بالأدب. فكانت هذه الاتجاهات الثقافية عامة فيهم. وقد عززها لغة واحدة فيه زادت من ترابطهم وعززت وحدتهم[٢٢].

لقد أثار نزول القرآن ومجيء الإسلام الاهتمام بالأمور الدينية والتفكير فيها بعد ان كانت راكدة جامدة. حيث أولى القرآن الكريم اهتماما خاصا بالإنسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وذكر عدد من الشعوب والأمم والرسل والملوك وأشار الى بعض الدول والحضارات القديمة، وأحوالها وتطوراتها، وعوامل ازدهارها وانهيارها، وأكد وجوب دراستها لاستخلاص القوانين العامة التي تنظم سير البشرية وتتحكم في تطورها، وان الغرض من ذكرها هو التفكير والدراسة واستخلاص العبرة وليس لمجرد التسلية. ووضع الإسلام مثلا عليا جديدة لمختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية[٢٣].

---

(٢١) الدكتور صالح احمد العلي : مكانة العلم ودوره في حضارتنا بين الماضي والمستقبل من كتاب رحلة في الفكر والتراث الذي اصدرته جامعة بغداد في استقبال القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، مطبعة بغداد، ١٩٨٠ ، ص ١٥٠ .

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٥١ .

(٢٣) الدكتور صالح احمد العلي، المصدر المار ذكره، ص ١٥٣ .

لقد قام الإسلام على ثلاث ركائز هي عقيدة بإله واحد وما يرافق ذلك من نظرة كونية شاملة جديدة. واهتمام بالمجتمع ونظامه وسلامته، وتأكيد على استعمال العقل والفكر كأداة للحصول على المعرفة التي تلقى في الإسلام تقديرا عظيما(٢٤).

لقد عني العرب بمختلف جوانب المعرفة الدينية والفقهية واللغوية والأدبية والعلمية. واهتم بعض العلماء بأكثر من جانب، وبرع بأكثر من فرع واشتهر اكثر من واحد بالجمع بين الثقافات الأوربية والعلمية. وقد اعد كثير منهم علمه لما يفيد المجتمع ويخدمه، فأكثر الفقهاء أتقنوا الحساب والرياضيات لما لهذه من أهمية في تطبيق بعض النظم القائمة على أسس دينية لتقسيم المواريث. وبرع بعض الفقهاء بالهندسة والمساحة لما لها من علاقة بالبيوع وتقسيم الحصص. وأتقن موظفو الدواوين اللغة وأساليب البلاغة بجانب الحساب والهندسة. وبذلك كان العلم متصلا بالمجتمع، متفاعلا مع الحياة، يؤدي رسالته لخير الإنسانية وتقدمها(٢٥).

لقد ذهب العالم جورج سارتون الذي تعد مؤلفاته خير ما انتج في التعريف بما أنجزته الحضارة العربية الإسلامية في تطور العلوم والمعرفة الإنسانية في كتابه مقدمة في تأريخ العلوم : ان العلوم العربية احتلت مكانة في العصور الوسطى تضاهي مكانة العلم في العصور القديمة(٢٦).

لقد بينّا ان العرب المسلمون برعوا في العلوم كلها وقد نقلوا ما عند الأقوام التي عاصرتهم في حضارة وعلوم ومعارف الى حضارتهم، وأضافوا اليها وجدوا فيها. ومن بين هذه العلوم علم الاجتماع. حيث اجتهد علماء العرب في تفسير الظواهر الاجتماعية فنشأ علم الاجتماع. وقد صدرت أبحاث كثيرة في هذه الموضوعات في العالم الحديث قدمها المستشرقون، تؤكد ريادة العرب المسلمين في علم

---

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٥٥ .

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٦٢ .

(٢٦) طه باقر : موجز في تأريخ العلوم والمعارف في المحاضرات القديمة والحضارة العربية الاسلامية، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠.

الاجتماع[٢٧]. ومن ابرز العلماء الذين اهتموا بالظاهرة الاجتماعية وعنوا فيها هم الجاحظ، والفارابي، والماوردي، والغزالي، وابن تمية وابن خلدون وابن الأزرق. وسنتناول آراءهم بشيء من التفصيل في الفقرة القادمة.

رواد الفكر الاجتماعي العربي

لقد تأثر الفكر الاجتماعي للفلاسفة الغرب المسلمين بالفلسفة اليونانية والواقع العربي والفكر الإسلامي، فجاء فكرا متفاعلا مع هذه المؤثرات الثلاثة. فبفضل الإسلام اصبح العرب أمة موحدة تشعر بالجماعة وتعمل لخدمتها. وتعمل لخدمة البشرية جمعاء. وعندها بدأ تفكيرهم الاجتماعي وظهرت لهم نظريات لا تحصى جديرة بأن تدخل ضمن تأريخ النظريات الاجتماعية في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد. حيث كانت لهم نظريات في الرياسة والسياسة والنظم السياسية ومبادئ التكامل الاجتماعي والتضامن وحقوق المواطن على الدولة وأقاموا مجتمعا قائما على المساواة والعدالة بين أبناء المجتمع جميعا[٢٨].

وسنعرض هنا الى فكر الجاحظ والفارابي والماوردي وأبي حامد الغزالي بشيء من الاختصار وسنفصل عندما نأتي الى ذكر ابن خلدون وابن الأزرق لأنهما يمثلان مرحلة النضج في الفكر الاجتماعي.

الجاحظ

لقد تطرق الجاحظ للملاحظات النفسية والاجتماعية التي تصلح ان تكون أسسا طيبة لنشأة هذين العلمين دون شك ولذلك أطلقا عليهما اسم (الملاحظات) ولم

---

(٢٧) د. علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، الجزء الاول، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١ ص٥٥.

(٢٨) د. معن خليل عمر : تأريخ الفكر الاجتماعي، الموصل، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص ٧٩-٨٠.

نطلق عليهما اسم (العلم) وان منهج الجاحظ في هذه الملاحظات يتلخص على نقطتين مهمتين :

١- المشاهدة او السماع العلمي الموثوق للحالات والموضوعات والمشاكل النفسية أو الاجتماعية.

٢- محاولة الاستنباط والاستقرار وتشكيل القواعد العامة لهما ويمكن ان نضيف هذه الملاحظات الى موضوعات متدرجة مترابطة تصور في مجموعها هيكل ملاحظاته حول الإنسان كفرد او مجموعة بشرية[٢٩].

كلية الآداب قسم اللغة العربية

ولقد تناول الجاحظ في ملاحظاته حول البيئة الاجتماعية عددا من الموضوعات منها اثر البيئة الجغرافية في المجتمع، ومنها ملاحظات حول الفرد الذي يعتبر اصغر وحدة في البيئة الاجتماعية، ثم تناول فكر الجماعة والجمهور والتأثير عن طريق الدعاية وتناول هذا الموضوع الأخير في شيء من التفصيل الى حد ما[٣٠]. حيث أدرك أثرها في المجتمعات في أيام السلم والحرب وما تصنعه في الجيوش من تمزيق وحدتها وتفتيت تضامنها، وأنها مهما كانت عنيفة ومغرضة فأنها لا تنجح في أي نظام سادت الديمقراطية فيه عند انتخاب مديره. ورغم حدوث بعض الحوادث المعزولة التي قد تستغلها الدعاية السياسية فأن ذلك لا يدل على فساد النظام او اضطراب أمره.

وقد أباح للدول وقت الحروب ان تسلك أي طريق الى الدعاية التي تقودها الى النصر[٣١] وقد قسم الجاحظ فئات المجتمع الى الاعلين ويسميهما أيضا في مناسبة أخرى الأشراف او الطبقة العليا، والأوسطين ويسميهما في مكان آخر الطبقة الوسطى، ثم أدنين وهم العامة من الناس[٣٢].

---

(٢٩) مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، المجلد ٣٣، العدد الثاني، كانون الاول ١٩٨٢ ، د. داود سلوم : الجاحظ والمنهج العلمي في البحث، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢١٠ .

(٣١) المصدر نفسه، ص ٢١٣ .

(٣٢) د. فاروق عمر فوزي، القيمة التأريخية لمؤلفات الجاحظ عن مظاهر الحياة الاجتماعية، بحث غير منشور، ص٢ .

والملاحظ ان الكثير مما جاء به الجاحظ مازال صالحا لهذا العصر ولكن قيود الزمن وظروف البيئة يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار. وان منهج الجاحظ يمثل المنهج السائد بين الطبقة المفكرة التي كانت تقود المجتمع الإسلامي فكريا آنذاك. واذا أردنا ان نجد شبيها للجاحظ في الحضارة العربية فلابد ان نتذكر ابن خلدون. الا ان زمن الجاحظ كان زمن يقظة وتفتح وزمن ابن خلدون كان زمن نضوج وتكامل. وان منهج الجاحظ كان موزعا مشتتا. وان منهج ابن خلدون كان مركزا. وان منهج الجاحظ كان يأخذ بالجزيئات. وان منهج ابن خلدون يأخذ بالكليات فأن زمن الجاحظ كان زمن الطفولة المتعاقبة التي تسأل عن كل شيء وتهتم بكل شيء أما زمن ابن خلدون فكان زمن نضوج في الذهنية وكهولة في المعرفة، ولذلك فأن منهج الجاحظ يبقى على تركيزه أوسع من منهج ابن خلدون وان نظرات الجاحظ تبقى اكثر دقة واعمق غورا واكثر تنوعا[٣٣].

الفارابي

ومن ابرز علمائنا العرب الذين اهتموا بالمجتمع الإنساني هو (الفارابي) الذي أكد ضرورة الاجتماع الإنساني لأن الإنسان لا ينال الكمال الا بالاجتماع والتعاون الإرادي القائم على المنفعة المتبادلة، لا الاجتماع الغريزي الذي هو كائن في المجتمعات الحيوانية، وقد ميّز عالمنا الجليل بين نوعين من المجتمعات الأولى كاملة والثانية غير كاملة، وارجع سبب الاختلاف الى الخلق الطبيعية والشيم الطبيعية واللغة. مبينا ان هذه الاختلافات ترجع أيضا الى موقعها في الكرة الأرضية، وبسبب الأبخرة التي تتصاعد من الأرض والى اختلاف الهواء والماء والنباتات والحيوانات مما يؤدي الى اختلاف تغذية الأفراد التي تؤدي الى اختلاف أخلاق المجتمعات وتصرفات أفرادها. وبما ان الغاية

---

(٣٣) داود سلوم، المصدر المار ذكره، ص١٨٦.

القصوى للإنسان هي التعاون من اجل السعادة فخير المدن هي المدينة الفاضلة التي تتعاون فيها الأمم جميعا من اجل بلوغ السعادة[٣٤] .

الماوردي

تتعلق أفكار الماوردي الاجتماعية بالنظام السياسي الذي كان سائدا في زمانه حيث يعبر هذا الفكر عن أهم المؤثرات البيئية التي طرأت على مكونات النظام السياسي. حيث تناول موضوع الخلافة وأهدافها ومهماتها فعرفها بأنها : موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا. حيث يقوم الخليفة بمهام الدنيوية والدينية بوصفه خلفا له. ولم يفكر الماوردي في فصل الدين عن الدنيا وهو المفتاح لفهم نظريته السياسية كلها. اذ ان الإمام قبل كل شيء الضمان لاستمرارية الشريعة الموحاة ولتأمين احترامها والاعتراف بها وتنفيذها. وان مهمة الخليفة والإمام مراقبة تطبيق حقوق الله وحقوق العباد في المجتمع الإسلامي. او بتعبير آخر فأن المطلوب منه ليس مراعاة حق الله بقدر ما هو مراقبة تنفيذ الواجبات القانونية والأخلاقية لكل من الحقين تجاه الآخر[٣٥].

ولقد ميز الماوردي بين الخلافة والإمارة وعدها شكلا من أشكال الوزارة وان مهام الأمير الذي هو نائب الخليفة في المنطقة التي يتولاها. لذا فهو ينوب عنه بتفويض منه في كل الشوؤن السياسية والاقتصادية والدينية. فهو الذي يقيم العدالة ويحمي القضاء ويمد الجيوش ويعين الموظفين ويجبي الخراج. وعليه ان يقوم

---

(٣٤) د. احسان محمد الحسن، رواد الفكر الاجتماعي، بغداد، دار الحكمة للطباعة، ١٩٩١، ص ١٣-٣٤.

في الفكر التراثي العربي توجد تقسيمات متعددة للمدينة منها على سبيل المثال: مدينة الاخيار، مدينة الاشرار، المدينة العاملة، المدينة الفاضلة، المدينة الفاعلة، انظر: د. قيس النوري وزميله: النظريات الاجتماعية، الموصل، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص ٢٩.

(٣٥) الماوردي ، قوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ص ٢٠. انظر كذلك : كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في اخلاق الملك وسياسة الملك، الماوردي، تحقيق د. محي هلال السرحان، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٨٢ .

بالواجبات الدينية التي يقوم بها الخليفة في العاصمة. كإمامة صلاة الجمعة وصلوات الجماعة والجهاد[٣٦].

ولقد حدد الماوردي العلاقة بين الراعي والرعية، فبين ان أهم واجبات الرعية تجاه راعيها هي : المعرفة والطاعة والنصرة[٣٧].

أبو حامد الغزالي

يعد المفكر أبو حامد الغزالي أحد عمالقة رجال العلم والمعرفة في تأريخ العرب المسلمين كما يعد أحد المعدودين من أعلام الثقافة في الأوساط العلمية في تأريخ الإنسانية قاطبة، فقد برز في الفلسفة والمنطق والفقه والتصوف وعلم الأخلاق وقد اخذ يشق طريقه في الحياة بروح عصامية نادرة ولم تعيقه وفاة أبيه وهو صغير في طلب العلم، رحل من مسقط رأسه وجال بغداد ودمشق وفلسطين والإسكندرية ومكة... وقد تولى المدرسة النظامية ببغداد، وصنف كثيرا من الكتب والرسائل وكانت آثاره لا تزال موضع عناية أهل العلم والمعرفة، فقد وضعت عنه آلاف الدراسات كما ترجمت كتبه الى عدة لغات في العالم، وكتابه (المنقذ من الضلال) يعد من اشهر كتبه حيث دون فيه خلاصة تجاربه في الحياة العلمية واستعرض بأمانة وصدق وبأفصح البيان منهجه وأفكاره ومواقفه من ميادين العلم والمعرفة، وقد التزم فيه الموضوعية وتسلسل الأفكار، وقد تناول النقاط المتعلقة بالفلسفة والتصوف والمنطق وعلم الأخلاق والطبيعة والفلك والرياضيات وبالنقاش والنقد والتحليل[٣٨].

لقد ساير الإمام الغزالي عمداء الفلسفة الإغريقية : سقراط وأفلاطون وارسطو، في ان الإنسان يمتاز عن النبات والحيوان بالعقل، ولكنه لا يسايرهم في ان وظيفة العقل السيطرة على الشهوات الجسمانية بل يرى ان الشهوة كثيرا ما

---

(٣٦) الماوردي : قوانين الوزارة وسياسة الملك، المصدر المار ذكره، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣٧) د. معن خليل عمر ، المصدر المار ذكره، ص ٩٧ .

(٣٨) الامام الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق وتقديم جميل ابراهيم حسين، بغداد، دار القادسية للطباعة، ١٩٨٤، انظر الغلاف.

تطغي على العقل وتسيطر عليه بل وتسخره للتجاوب معها[٣٩] . الغزالي من الاجتماعيين المتميزين الذين ظهروا في أواخر عصر الدولة العباسية. لقد ارتكز الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي على المبادىء والتعاليم الروحية والاعتبارية للامة العربية الإسلامية الذي يبتعد عن التيارات الفكرية والعقائدية التي جاءت بها الحركات المناهضة للعرب والمسلمين، لا سيما الحركات الشعوبية المستترة بالدين المجوسية والمزدكية والبابية والبهائية[٤٠] .

ابن خلدون - فلسفته الاجتماعية

يعد ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع ومستحدث صنعته ولقد كان له في هذا المجال فضل الريادة، اذ سبق علماء كثيرين الى معالجة مواضيع تأريخية واجتماعية بأسلوب رصين له من المنهجية والموضوعية نصيب كبير.

يذهب الأستاذ ساطع الحصري الى ان الذين عدوا اوكست كونت مؤسيا لعلم الاجتماع، لم يقولوا ذلك لزعمهم انه كان أول من درس الحادثات الاجتماعية بل انهم قالوا ذلك لزعمهم انه كان أول من نظر الى المجتمع ككل. فأتخذه موضوعا لعلم مستقل قائم بنفسه.

وان حق ابن خلدون يلقب مؤسس علم الاجتماع أقوى من حق اوكست كونت، لان ابن خلدون قد فعل ذلك قبل ان يبدأ اوكست كونت دروسه في الفلسفة الاجتماعية بمدة تزيد على أربعمائة وستين عاما. ويعتقد الأستاذ الحصري ان مقدمة ابن خلدون ليست تلميسا بسيطا لعلم الاجتماع ولا تحدسا غامضا عنه. بل كانت محاولة ناجحة لاستحداث علم الاجتماع. كما انه لا يشترط في واقع العلم او مؤسسة ان يلم بجوانب الموضوع كلها او يكتشف القوانين المتصلة بذلك الموضوع فلو اشترط ذلك لما أمكن تسمية أي مفكر باسم (المؤسس) لأي علم من العلوم. ولهذا السبب فأن تأسيس علم من العلوم لا يعني اكتشاف جميع حقائق

---

(٣٩) الامام الغزالي، المنقذ من الضلال، تقديم محمد عبدالله السحاف، سلسلة الثقافة الاسلامية، رقم ٢٦، القاهرة، مطبعة نور الامل، ١٩٦١، ص ٤ .

(٤٠) د. احسان محمد الحسن، المصدر المار ذكره، ص ٤٢ -٤٤ .

وقوانين خصائص ذلك العلم بل يعني اكتشاف قسم من خصائص ذلك الموضوع بعد فهم موضوعه وإدراكه[٤١].

ويقول الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي لما كانت دراسة ابن خلدون للظواهر الاجتماعية في مقدمته تتفق تمام الاتفاق في أغراضها وموضوعها ومناهجها والأسس القائمة عليها مع ما نسميه علم الاجتماع. وإنما إننا لم نعثر على بحث سابق لابن خلدون تتوافر فيه هذه الصفات، ففي استطاعتنا ان نقطع بأن ابن خلدون هو المنشئ لعلم الاجتماع، على الرغم من انه لم يوفق في كل الجوانب التي تطرق لها ولكن ما كان لواضع ومنشئ علم ان يلم بكل الجوانب ويكفيه فخرا انه أقام علما جديدا له دعائمه ورسم منهجه وقام بدراسات واضحة جاءت في تفاصيلها اقرب ما يكون الى الكمال[٤٢]. ويرى الدكتور محمد عبد المنعم نور ان ابن خلدون من المفكرين الأوائل الذين اهتموا بعلم الاجتماع وانه سبق كل من فيكو وكتليه وسبنسر وكونت وهو الاجدر هؤلاء بحمل لقب مؤسس علم الاجتماع، ذلك لأنه نادى بعلمه منذ القرن الرابع عشر ونادى بتأسيس علم العمران ولم يسبقه الى هذه الفكرة أحد من قبل ذلك لأنه أراد كتابة التاريخ بصورة واضحة خالية من الأكاذيب بعد تحميصها وتميزها وان طريقته كانت موضوعية في دراسة الأشياء عن طريق الملاحظة والحكم عليها بطريقة حيادية مما يكسب دراسته صفة العلم. واعتبر الغاية الأساسية للعلم هي التنبؤ ولذلك قال انه يستطيع من ملاحظة الحاضر ودراسة الماضي التنبؤ بما سيحدث في المستقبل.وكان ابن

---

(٤١) ابو خلدون ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون، القاهرة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦١، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٤٢) د. علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمن ابن خلدون، سلسلة اعلام العرب، القاهرة، مكتبة مصر،، ص٢٠٥ -٢٣٦.

خلدون شديد الثقة بجيرته الظواهر الاجتماعية لأنها تحدث بسبب قوانين ثابتة وهذا أساس من أسس علم الاجتماع الحديث(٤٣).

ويجزم الدكتور علي الوردي ان علم الاجتماع الذي ألفه اوكست كونت يختلف اختلافا كليا عن آراء ابن خلدون وان اوكست قد تأثر بمحيطه الذي عاش فيه. وان اوكست كونت وضع علم اجتماع منفصلا تمام الانفصال عن علم الاجتماع الذي ابن خلدون والذي ظهر بعد علم ابن خلدون بحوالي خمسة قرون(٤٤).

نرى مما سبق ذكره من آراء ان الجميع يتفقون على ان ابن خلدون أول من كتب في موضوع علم الاجتماع ولم يسبقه أحد و لا اخذ عن غيره. ونذهب الى ان علم الاجتماع نشأ نشأتين مثل ما ذهب اليه الأستاذ الوردي، النشأة الأولى وهي على يد العلامة العربي عبد الرحمن بن خلدون أبي زيد ولي الدين. والنشأة الثانية على يد العلامة اوكست كونت. ومع ان بين النشأتين اختلافا كبيرا فأن لكل نشأة ظروفها والبيئة المحيطة بها.

مما مر بنا يتبين ان ابن خلدون عالم اجتماعي له مكانته وشهرته وانه سبق كثيرا من العلماء الذين أتوا بعده. فمنهم ميكافلي عن سياسة الملك وفيكو في فلسفة التاريخ واوكست كونت عن البحث في الظواهر الاجتماعية وداروين عن تأثير البيئة وبيكون في بند التشبيهات للآراء روسو اذ فضل أهل البدو على أهل الحضر، وسبق الفلاسفة الدهرين للقرن التاسع عشر أمثال كاري ماركس وسبنسر وجو بيتو وتارد ودوركهايم حيث قال : (ان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه). وأما سبقه لكارل ماركس فقد قال ابن خلدون : (إنما اختلف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش). وأما سبنسر فقد سبقه ابن خلدون

---

(٤٣) كتاب اعمال ميرجان ابن خلدون ١٩٦٢، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٦٢، ص٨٤ -٨٧، مقالة للدكتور محمد عبد المنعم نور، ابن خلدون كمفكر اجتماعي عربي.

(٤٤) الدكتور علي الوردي : منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢، ص٢٦٢ -٢٦٤ .

في إثبات مبدأين أولهما ان العصبية ثم التعاون على المعاش من الأسباب الأولى للاجتماع البشري والثاني ان هرم الدولة من الدعة والترف[٤٥].

وأما جوبيتو فقد سبقه ابن خلدون حيث أشار الى تأثير خصائص أجيال الخلق في الحروب والفتوحات. وأما تارد الفيلسوف الفرنسي، فقد سبقه ابن خلدون اذ أعلن : (ان المغلوب مولع أبدا بالإقتداء بالغالب). وسبق العلامة دوركهايم مؤسس مدرسة علم الاجتماع بهذا العهد في فرنسا، حين عد بن خلدون وجود الجماعات أمر واقعا ملموسا وأبان الصلة بين عدد الجماعة وغنى القطر. ثم ان هناك تشابه بين ابن خلدون ودور كهايم لا يستحف به ذلك ان دور كهايم نزه مذهب اوكست كونت عن التشيعات للأراء وخلصه من وجود الاستنباط المحض وكلنا يعلم ان ابن خلدون عالم موضوعي كما يقولون، أي عالم متدرج من المحسوسات الى النظر ومن الخارجيات الى الرأي[٤٦]. وانه من العلماء الذين يندر ان يجود بهم الزمن وانه فلتة عصره في وقت كانت الدولة الإسلامية تحتضر وان مما اثر في ابن خلدون وتكوين عبقريته هي التي مرت بالبلاد الإسلامية في تلك الحقبة ونشوءه في بيت علم وسيادة وطموحه الذي لا ينقطع وحبه للعلم والدروس. وهو أول من حاول كتابة التاريخ كتابة جديدة خارجا فيها عن مألوف الكتاب وذلك بتمحيص الأخبار ومعرفة الكاذب منها من الصادق. وأدت دراسته هذه لان يؤلف علما جديدا هو علم العمران الذي هو علم الاجتماع اليوم. ولا تزال نظرياته مماثلة لحد الآن تشير الى عبقريته والى انه المؤسس الأول لعلم الاجتماع.

وبالرغم من ان ابن خلدون لم يسر على القاعدة التي وضعها في كتابة تاريخ العبر وبالرغم من الانتقادات التي وجهت اليه. لكن ما كان ينبغي لواضع علم ان يلم به كما انه عاش في عصر يختلف كل الاختلاف عن عصرنا الحاضر.

---

(٤٥) مجلة الرسالة، العدد ٢٨٨ : مقالة الدكتور بشر فارس، مقدمة ابن خلدون، ص ٨٦ .

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٨٧ .

وما نظريات ابن خلدون في العصبية وأسس الاجتماع البشري والنفس الإنسانية والسببية الاجتماعية الا دليل على سعة إطلاع هذا العالم وانه بز كثيرا من علماء الاجتماع بحيث لقب مؤسس علم الاجتماع[٤٧].

ابن الأزرق

من علماء الاجتماع الأوائل أبو عبد الله بن الأزرق المتوفى عام ٨٩٦ ه والمولود في مالقة بعد وفاة ابن خلدون بعشرين سنة ٨٣٢ ه، اجمع مؤرخو ابن الأزرق ان له كتاب، بدائع السلك في طبائع الملك، ويبدو انه الكتاب الوحيد له في علم السياسة. وقد حقق هذا الكتاب وعلق عليه الدكتور علي سامي النشار وقد ظهر هذا الكتاب بجزئين الأول ١٩٧٧ والثاني ١٩٧٨ قامت وزارة الثقافة والإعلام العراقية بطبعه ونشره[٤٨]. ويقع هذا الكتاب في حقل علم الاجتماع السياسي وهو استمرار للمدرسة الأشعرية وتطبيق للمنهج الاستقرائي التجريبي على الظواهر الاجتماعية والسياسية والأخلاقية وهو امتداد لآراء المسعودي والغزالي والماوردي من مفكري الا شاعره.

---

(٤٧) للزيادة في المعلومات انظر :

١. عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة العلامة ابن خلدون، القاهرة، مطبعة مصطفى محمد.

٢. عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون، كتاب التحرير، القاهرة، ١٩٦٦.

٣. محمد عبد الله عنان : ابن خلدون، حياته وتراثه الفكرين القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٣.

٤. جوستون بوتول : ابن خلدون فلسفته الاجتماعية، ترجمة غنيم عبدون، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤.

٥. الدكتور نور الدين حقيقي : الخلدونية، العلوم الاجتماعية واساس السلطة السياسية، ترجمة الياس خليل، بيروت- باريس، منشورات عويدات، ١٩٨٣.

٦. ابو يعرب المرزوقي : الاجتماع النظري الخلدوني والتاريخ العربي المعاصر، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣.

٧. د. مجمد عابد : فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية في التاريخ الاسلامي، بغداد، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بلا تاريخ.

(٤٨) أبي عبد الله بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ و ٢ ، بغداد، ١٩٧٨.

موضوع هذا الكتاب السياسية العقلية والشرعية والاجتماع البشري وقد احتوى القسم الأكبر منه على الأخلاق، التي مر عليها ابن خلدون مر السحاب. وهذا يعد من ابن الأزرق ميزة كبيرة. حيث أضاف الى كتابه جزءا مهما من الأخلاق التي لا ينبغي لكتب علم الاجتماع ان تغفل الكلام عنها لان الأخلاق سلوك للإنسان الذي لا يمكنه ان يتخلى عن سلوكه ويحيا بدونه أبدا[٤٩] .

توفي عالمنا الجليل بعد ثمانين سنة من وفاة ابن خلدون وقد خطا بالنظريات الاجتماعية السياسية لدى المسلمين خطوات أوسع ووصل بهذه النظريات الى مرحلة نضج، مزج بين نظريات ابن خلدون ونظريات أخرى سياسية إسلامية تستند الى اتجاه آخر يخالف اتجاه ابن خلدون السياسي البحت، وهو علم الأخلاق السياسي وهو علم لم يحظ عند ابن خلدون بمكانة واسعة، كما أسلفنا قبل قليل، وقد حاول ابن خلدون ونظريات ابن رضوان والطرطوشي والملاحظ ان كتاب ابن الأزرق كشف عن مصادر مقدمة ابن خلدون كتوما الى اكبر حد يستخدم نظريات غيره، ويستند الى مآخذ متعددة لا يذكر صاحبها ويدل بنفسه على انه أول من توصل اليها. وابن الأزرق هو قبل كل شيء أخلاقي وراوية حديث وقاض من قضاة المسلمين يذكر مصادره بأمانة وصدق ولا يكتم مآخذه ولا منابعه وبمعنى أدق يعطي لكل ذي حق حقه ويعبر عن آرائه بالصيغة المشهورة (قلت) بل ما اكثر ما ذكره حتى في قوله (قلت) هذه مصادر هو نفسه[٥٠].

زاد في قيمة هذا الكتاب تنويه العلماء بمحتواه، وإطراؤه قديما وحديثا قال المقرئ : (وله، رحمة الله تعالى، تأليف، منها بدائع السلك في طبائع الملك)، كتاب حسن مفيد في موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخية وغيره، مع زوائد كثيرة[٥١].

---

(٤٩) ابو عبد الله بن الازرق: المصدر المار ذكره، تحقيق الدكتور محمد بن عبدالكريم، ص٤٠.

(٥٠) ابو عبد الله بن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج١، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، المصدر المار ذكره، ص٦.

(٥١) المقري: نفح الطيب، ج٢، ص ٧٠٠- ٧٠١، منقولا من كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، ص ٦.

واكبر فائدة جاء بها هذا الكتاب انه أول كتاب عرف ب (مقدمة ابن خلدون) وحوى تلخيصها الذي لم يأت به القدر، الا حجة على الإفرنج الزاعمين بأنهم، هم، أول من عرف بهذه المقدمة شرقا وغربا[٥٢].

الخاتمة

بدأت حضارة العرب قبل آلاف السنين في جزيرة العرب وعادت فانتهت في جزيرة العرب بظهور الإسلام. وكان مؤسسو تلك الحضارات عربا يتكلمون اللغة العربية الأم. وان أهم ما تميزت به حضارة الغرب إنها ذات طابع أصيل و ذات طابع استمراري متواصل عبر العصور التأريخية وإنها لا تزال حية بجذورها العميقة ومقوماتها التراثية[٥٣].

وقد آثرت الحضارة العربية حينما انتقلت الى أوربا عن طريق القسطنطينية او عن طريق الحروب الصليبية او عن طريق صقلية وجنوب ايطاليا او عن طريق الأندلس، في العلوم والصناعة والتجارة وأساليب الحياة خلال القرون التي قضاها العرب في أوربا. وقد أتت أكلها فانتعشت بلاد أوربا اقتصاديا وساعدت على قيام مدن جديدة او توسيع كثير من موانيها، كما أدت الى وجود نشاط علمي والى تهذيب أخلاق الأوربيين[٥٤].

وحري بنا نحن العرب ان نلتفت الى ما ألفه أسلافنا العظام من مؤلفات وما أبدعوا من علوم. وكوني متخصص بعلم الاجتماع فأني أدعو الى الاهتمام بعلم الاجتماع الخلدوني لأنه اقرب الى فهمنا من علم الاجتماع الحديث. اذ ان ابن خلدون درس التفاعل الموجود بين الحضارة والبداوة، كما أسلفنا، وهي ظاهرة موجودة في مجتمعنا منذ بداية التاريخ ولم يعن بها علم الاجتماع الحديث عناية

---

(٥٢) ابو عبدالله بن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملكن ج١، تحقيق الدكتور محمد بن عبدالكريم، المصدر المار ذكره، ص٤٤.

(٥٣) المهندس الدكتور احمد سوسة : حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، السلسلة الاعلامية، رقم ٧٩، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٥٤) الدكتور بدري محمد فهد : المصدر المار ذكره، ص ٢١٢ .

كافية. ونحن لا نستطيع فهم مجتمعنا دون الرجوع الى هذه الظاهرة ولعل ما كشفه العلم من آثار ابن خلدون قليل وان المستقبل سيرينا ما هو اكثر .

كما أدعو الى ضرورة ان يكون لنا علم اجتماع عربي لان لكل مجتمع ظواهر خاصة به وأخرى عامة، تعكس الأولى تفاعله مع الأحداث التاريخية والسياسية والاقتصادية والدينية التي مر بها او عايشها وتوضح الثانية السمات المشتركة مع باقي المجتمعات الإنسانية، لذا نجد بعض الباحثين الاجتماعيين يميلون لدراسة خصوصيات مجتمعهم، ويدرس البعض الآخر عموميات المجتمع الإنساني من خلال المجتمع الذي يعيش فيه، ونحن لا ندعو الى تأسيس على اجتماع إقليمي قومي (عربي) مفصول عن علم الاجتماع وإنما نقول بأن المجتمع العربي يتمتع بصفات متميزة تستحق الدراسة بشكل مستقل عما يدور في حقل علم الاجتماع وقد كان كما أسلفنا لعلمائنا العرب دور الريادة في هذا الاختصاص حيث تناولوا مواضيع اجتماعية وإنسانية عامة اكثر من ظواهر اجتماعية تعكس طبيعة المجتمع العربي أو خصوصياته، وهذه نقطة جديرة بالاهتمام لانها تعني ان هؤلاء الكتاب كانوا يفكرون بانفتاح لخدمة الفكر الإنساني سبقت زمانها ومكانها ويمكن الاستفادة منها في استقرار الواقع الاجتماعي في الوقت الحاضر(٥٥).

ان الرجوع الى تراثنا الاجتماعي، يجعلنا نحصل على القواعد الأساسية للحياة الاجتماعية العربية المعاصرة، ويغنينا من تبني تراث المجتمعات الأخرى واستخدامها في دراسة واقعنا الاجتماعي الذي يختلف عن واقعنا في أصالته وبنائه وتنظيمه، وهذا لا يعني الدعوة الى الانفصال عن مجريات علم الاجتماعي النظري بل في اعتقادنا أننا سوف نرفد نظريات علم الاجتماع بتراث غني بالتجارب والخبرات التي لا تزال آثارها وسيادتها قائمة في المجتمع العربي المعاصر. ونسهم في وضع اللبنات الأساسية لعلم الاجتماع العربي او نظرية اجتماعية تعكس ماضيه وحاضره وتطلعاتنا المستقبلية.

---

(٥٥) د. معن خليل عمر: نحو علم اجتماعي عربي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤، ص ٥-٦.

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- أبو يعرب المرزوقي، الاجتماع النظري الخلدوني والتاريخ العربي المعاصر، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣.

٣- أبو عبد الله ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الأول والثاني، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧، تحقيق الدكتور علي سامي النشار.

٤- أبو عبد الله ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الأول والثاني، ليبيا، الدار العربية للكتاب، بلا تاريخ، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم .

٥- د. إحسان محمد الحسن، رواد الفكر الاجتماعي، دراسة تحليلية في تاريخ الفكر الاجتماعي، بغداد، دار الحكمة للطباعة، ١٩٦١.

٦- الدكتور احمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، السلسلة الإعلامية، رقم ٧٩، بغداد، ١٩٧٩.

٧- الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق وتقديم جميل ابراهيم حسين، بغداد، دار القادسية للطباعة، ١٩٨٤.

٨- الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، تقديم محمد عبد الله السمان، سلسلة الثقافة الإسلامية، رقم ٢٦، القاهرة، مطبعة نور الأمل، ١٩٦١.

٩- الماوردي، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٩.

١٠- الماوردي : كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق د. محيي هلال السرحان، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٨٢.

١١- الدكتور بدري محمد فهد : تاريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨.

١٢- جوستون بوتول : ابن خلدون، فلسفته الاجتماعية، ترجمة غنيم عبدون، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤.

١٣- د. حاتم صالح الضامن : إسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بلا تاريخ.

١٤- د. حسين محمد سليمان : التراث العربي الإسلامي، دراسة تاريخية مقارنة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بلا تاريخ.

١٥- د. زكي محمد إسماعيل : نحو علم اجتماعي إسلامي، الإسكندرية، دار المطبوعات الجديدة، ١٩٨٩.

١٦- د. ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، القاهرة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦١.

١٧- سلسلة شؤون عربية، رقم ١، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦.

١٨- د. شاكر مصطفى سليم : قاموس الانثربولوجيا، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨١.

١٩- د. صالح احمد العلي : مكانة العلم ودوره في حضارتنا بين الماضي والمستقبل، من كتاب رحلة في الفكر والتراث، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠.

٢٠- طه باقر : موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة، الحضارة العربية الإسلامية، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠.

٢١- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، القاهرة، مطبعة مصطفى محمد، بلا تاريخ.

٢٢- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، كتاب التحرير، القاهرة، ١٩٦٦.

٢٣- د. عبد السلام هارون : التراث العربي، السلسلة الثقافية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بلا تاريخ.

٢٤- علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الأول، ط ٨، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.

٢٥- د. علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، مكتبة مصر، بلا تاريخ.

٢٦- د. علي الوردي : منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢.

٢٧- د. فاروق عمر فوزي : القيمة التاريخية لمؤلفات الجاحظ عن مظاهر الحياة الاجتماعية، بحث غير منشور، ١٩٦١.

٢٨- د. قيس النوري وزميله : النظريات الاجتماعية، الموصل، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥.

٢٩- كتاب أعمال مهرجان ابن خلدون ١٩٦٢، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٦٢.

٣٠- لجنة بوزارة التربية : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط ١، بغداد، مطبعة التربية، ١٩٧٩.

٣١- ليفي بروفسنال : حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت، لبنان، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

٣٢- مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، المجلد ٣٣، العدد الثاني، كانون الأول، ١٩٨٢.

٣٣- مجلة الرسالة، العدد ٢٨٨، مقالة للدكتور بشير فارس ، مقدمة ابن خلدون.

٣٤- د. معن خليل عمر : تاريخ الفكر الاجتماعي، الموصل، مطابع الموصل، ١٩٨٥.

٣٥- د. معن خليل عمر : نحو علم اجتماعي عربي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤.

٣٦- د. معن خليل عمر : نحو نظرية عربية في علم الاجتماع، الإمارات العربية، جمعية الاجتماعيين، ١٩٨٩.

٣٧- د. محمد عابد الجابري : فكر ابن خلدون، العصبية والدولة ومعالم نظرية في التاريخ الإسلامي، بغداد، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بلا تاريخ.

٣٨- محمد عبد الله عنان : ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، القاهرة، مطبعة، ١٩٥٣.

٣٩- د. ناجي معروف : المدخل الى تاريخ الحضارة العربية، بغداد، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٦١.

٤٠- نورمان كابيل : ما العلم ؟ ترجمة طارق عبد الهادي محمد العاني، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٢.

٤١- د. نور الدين حقيقي : الخلدونية، العلوم الاجتماعية وأساس السلطة السياسية، ترجمة الياس خليل، بيروت - باريس، منشورات عويدات، ١٩٨٣.